

## من قانا إلى بيروت مروراً بالجنوب: ذاكرة الدم لا تغيب مآسي المسعفين و"الأربعاء الدموي" يفتحان وجعاً لا يطيّب

تصاعد نهج الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان منذ الثاني من آذار، مستهدفا المرافق الصحية والمدنيين وقوات حفظ السلام والفئات المحمية بالقانون الدولي، في مشهد تخطى الخطوط الحمر، عندما تحولت الاحياء السكنية يوم "الأربعاء الدموي" الى ساحات موت، بعدما خلفت الغارات الخاطفة مجازر بشرية، مسجلة الحصيلة الاكثر دموية منذ اندلاع هذه الحرب

وهذا ما استدعى البابا لاوون الرابع الى الاعلان عن موقف لاف تجاه هول هذه المأساة، شدد فيه على ان حماية الشعب اللبناني تمثل "واجبا اخلاقيا"، في رسالة عكست حجم القلق الدولي المتزايد على لبنان، في ظل خطورة تدهور الاوضاع الانسانية.

اما الاكثر ايلاما، فكانت في البقاع الشمالي، حيث قضى سبعة اطفال دفعة واحدة من عائلة القاضي، في مأساة تختصر حجم الكارثة الانسانية التي خلفتها الاعتداءات الاسرائيلية، فهؤلاء الاطفال الاربعة غابوا تاركين وجعا لا يقاس بالأرقام، وجرحا مفتوحا في ذاكرة العائلات والمجتمع الى الابد. امتدت تداعيات هذه المأساة الى العاملين في القطاعين الصحي والاعلامي، وإلى المدنيين الذين دفعوا ثمنا باهظا تحت وطأة الغارات الجوية والهجمات المستمرة. وقد وثقت منظمة الصحة العالمية ووزارة الصحة اللبنانية اكثر من 163 هجوما على مرافق الرعاية الصحية، طالت الصليب الاحمر اللبناني، المديرية العامة للدفاع المدني، جمعية كشافة الرسالة الاسلامية، جمعية الهيئة الصحية الاسلامية، جمعية اسعاف النبطية، هيئة الاسعاف الشعبي، وخلفت خسائر جسيمة في صفوف المسعفين والاطقم الصحية، اذ سقط 111 شهيدا من العاملين في الانقاذ والرعاية الصحية، فيما تضررت 108 سيارات اسعاف واطفاء بشكل كامل، وتعرض 16 مستشفى للاعتداء، بينها 4 مستشفيات اقلقت قسرا. وتكشف وزارة الصحة حجم الضغط الهائل على القطاع الصحي مع تسجيل 43973 حالة اسعاف، و5946 عملية انقاذ، و3246 عملية اطفاء.

في مشهد يعيد الى الذاكرة مجزرة قانا التي وقعت عام 1996، تتكرر المأساة منذ تجدد الحرب، وتتمدد من قرى الجنوب وصولا الى بيروت في يوم "الأربعاء الدموي"، فالتصعيد العسكري الاسرائيلي المتواصل حصد ارواح أكثر من 177 طفلا، فيما اصيب 806 اخرون بجروح متفاوتة، وبلغ عددهم ما بعد هدنة 17 نيسان 23 طفلا وعدد الجرحى 93، وفقا لمنظمة اليونيسف، التي اشارت الى ان الغارات الاسرائيلية تتسبب يوميا بمقتل او اصابة ما يعادل صفا دراسيا كاملا من الاطفال اي حوالي 14 طفلا. هذا ما اكدته ايضا تقارير مكتب الامم المتحدة لتنسيق الاعمال الانسانية، من ان 10 في المئة من ضحايا الاعتداءات هم من الاطفال، اذ لا يكاد يمر يوم منذ الثامن من تشرين الاول 2023 من دون ان يقتل او يصاب طفل في لبنان.

ومن ابرز مآسي استشهاد الاطفال ما شهدته "الأربعاء الدموي" في 8 نيسان الفائت، حين حولت الغارات الاسرائيلية عددا من الابنية في بيروت الى ركاب فوق ساكنيها، وطالت مدنيين بينهم اطفال كانوا داخل منازلهم، قبل ان يدفعهم عصف القصف الى خارجها ضحايا في الشوارع، التي تحولت الى ساحات منكوبة، واسفرت تلك المجازر عن سقوط 359 شهيدا و1223 جريحا، في حصيلة هي الاعلى في يوم واحد منذ تجدد الحرب، وعاشت تلك المناطق المستهدفة حال من الهلع والانهيال الانساني، بعدما غصت شوارع بيروت بسيارات الاسعاف وامتلات المستشفيات بالشهداء والجرحى والاشلاء، في مشهد عكس حجم الرعب الذي عاشه السكان اذ وجدت عائلات في ذلك اليوم الاسود نفسها امام فاجعة مضاعفة، بعدما خسر بعضها اكثر من طفل دفعة واحدة.

تسببت في تسوية 20 قرية بالأرض قرب الحدود في جنوب لبنان، وطالت البنى التحتية المدنية بما في ذلك المدارس والمستشفيات والمساجد، في مشهد يعكس تحولا خطيرا في طبيعة العمليات العسكرية، الى خطة محكمة ترمي الى تغيير معالم القرى الحدودية.

اظهرت صور الاقمار الاصطناعية حجم الكارثة، اذ بدت قرى بكاملها وقد تبدلت ملامحها، بين ابنية مهدامة، احياء ممسوحة، طرقا مقطوعة، بنى تحتية منهاره، ولم يعد المشهد يختلف كثيرا عن صور الدمار التي عرفتها مدن اوروية خلال الحرب العالمية الثانية، او عن الخراب الذي خلفته المعارك في ستالينغراد، في دلالة على حجم العنف المستخدم واتساع رقعته.

من الواضح، بحسب وزيرة البيئة تمارا الزين، ان ما ارتكبته اسرائيل في جنوب لبنان لا يقتصر على التدمير العمراني والحضاري، بل شكل ايضا ابادا بيئية، تضاف الى مشهد الدمار الواسع، حيث السلوك المتبع عكس نمطا قريبا مما جرى في غزة، من خلال استهداف مقومات الحياة وقطع كل سبل العيش، ومنع السكان من العودة الآمنة الى قراهم وبلداتهم. اذ أقدم الاحتلال الاسرائيلي، خلال الشهر الاول من العدوان فقط، على احراق أكثر من 270 هكتارا من الغابات والاحراج، تضاف الى 8700 هكتار احرق في وقت سابق، وفق ما رصدته وزارة البيئة، ولم تتوقف الاضرار عند حدود الغطاء النباتي، بل امتدت الى التربة والمياه،

في مشهد يهدد التوازن البيئي والاقتصادي في المناطق الحدودية.

كما وثقت وزارة البيئة ايضا استخداما مكثفا للقنابل الفوسفورية والعنقودية، لا سيما في محيط مجرى نهر الليطاني، في محاولة واضحة لمنع المزارعين من استعادة ارضهم وحرمانهم من مصدر رزقهم، ويضاف الى ذلك خطر تلوث التربة بالمعادن الثقيلة والمواد السامة الناتجة من القصف المتكرر، مما يحول مساحات واسعة من الاراضي الزراعية الى مناطق غير صالحة للاستثمار الزراعي. تكمن خطورة هذا التلوث في ان آثاره لا تظهر فقط في المدى القريب، بل قد تمتد لسنوات طويلة، مهددة جودة المحاصيل وسلامة المنتجات الزراعية، ومؤثرة بشكل مباشر على الصحة العامة والامن الغذائي، وبذلك يصبح الاعتداء على البيئة جزءا من الحرب على الانسان والارض معا، اذ لا يستهدف الحاضر فقط، بل يطاول

”

قانا تتمدد جنوبا:  
تهجير ودمار والمسعفون  
والاطفال تحت النار

“



مستقبل القرى الجنوبية إذا لم تتم معالجة التربة والمياه من هذه الترسبات.

فالدمار في الجنوب الذي ينسحب على بعض مناطق الضاحية الجنوبية والبقاع، لا يطرح فقط سؤال اعادة الاعمار، بل يفتح ايضا ملفا انسانيا واجتماعيا أكثر تعقيدا، يتعلق بمصير السكان الذين اقتلعوا من بيوتهم وبلغ عددهم أكثر من مليون نازح، وبقدرة القرى والمناطق المتضررة على استعادة حياتها الطبيعية، في ظل خسائر طاولت المنازل والارزاق والذاكرة الجماعية للأهالي.

وعلى الرغم من تطور المسار الديبلوماسي التفاوضي برعاية اميركية، ارتسمت معالم مرعبة امام اللبنانيين تنذر باستحضار نموذج غزة في الجنوب، من خلال عمليات الهدم الواسعة، وتفريغ البلدات والقرى، ودفع السكان الى النزوح القسري تحت ضغط الانذارات الاسرائيلية المتكررة. اللافت، ان رقعة العمليات والغارات الاسرائيلية لم تعد محصورة في المناطق الحدودية، بل تمددت الى ما بعد شمال الليطاني، في مؤشر خطير الى اتساع دائرة الاستهداف وارتفاع منسوب التهديدات، كان لا هدنة ولا وقف نار يسري مفعوله، فيما تتسع يوما بعد يوم دائرة القرى التي تفرغ من اهلها، وعمليات الافراغ تتسع يوما بعد يوم تحت وطأة القصف الاسرائيلي المتواصل، مما جعل المشهد أكثر تعقيدا وخطورة على المستوى الانساني والاجتماعي والوطني.

في موازاة هذا التصعيد، تهر اسرائيل استهدافها للمسعفين والكوادر الطبية والاعلامية، عبر اتهامهم بالمشاركة في أنشطة عسكرية، في محاولة لنزع صفة الحياد عنهم، وتقويض الحماية التي يكفلها لهم القانون الدولي الانساني، الا ان الوقائع الميدانية تكشف، وفق ما جرى في بلدة النبي شيت، ان اسرائيل نفسها هي التي لجأت الى اساليب تمويه ميداني، مستخدمة آليات مموهة بغطاء اسعافي ورموز انسانية في عملياتها، بينها سيارات صحية شبيهة بسيارات الهيئة الصحية الاسلامية، وارتداء عناصر الوحدة الاسرائيلية المنفذة للعمليات بزات عسكرية مماثلة لتلك الخاصة بالجيش اللبناني، ولم تتوان عن تكريس خطاب يقوم على اتهام الاطراف الاخرى بممارسات تقوم بها.

في مؤشر اضافي الى خطورة التطورات، استهدفت اسرائيل دورية تابعة لقوات اليونيفيل على



# معلقين فيك

على الانتهاكات الصارخة للقانون الدولي الانساني، لا سيما لاتفاقيات جنيف الاربعة لعام 1949 وبروتوكولاتها الاضافية لعام 1977 التي اوضحت قواعد عرفية يلتزم بها العالم اجمع، لجهة حماية المدنيين والصحافيين والطواقم الطبية والإنقاذية، وعدم استهدافهم تحت اي ظرف لأن التعرض لهم والاعتداء عليهم، خصوصا اثناء قيامهم بعملهم وتأدية واجبهم المهني، هي جرائم حرب موصوفة. في المحصلة، الحروب الاسرائيلية المتعاقبة على لبنان خلفت اثارا مدمرة على البشر والحجر، لكن الحرب هذه المرة بدت مختلفة في تداعياتها، فدفعت لبنان الى واحد من أفسى الاختبارات في تاريخه، تمثل بانخراطه في 14 نيسان الفائت في مسار تفاوض مباشر مع اسرائيل برعاية اميركية، وذلك للمرة الأولى منذ 43 عاما، وسط ظروف بالغة التعقيد والدقة والاهمية، في خطوة هي الاولى في رحلة الالف ميل. وفيما يخوض لبنان جولة تفاوضية رابعة في 2 و3 حزيران الحالي في واشنطن، بعد إطلاق مسار امني في 29 ايار الفائت، يبقى هاجسه الاساسي تثبيت الهدنة الممددة للمرة الثالثة لوقف آلة الدمار والنزيف ووضع حد لمسار طويل من الانتهاكات والنزوح والماسي التي اثقلت لبنان واهله، رغم ما تحمله المفاوضات من حساسية سياسية ووطنية. لذلك يتفاوض لبنان من اجل الوصول الى اتفاق شامل ودائم يحفظ كرامة اللبنانيين وامنهم ومستقبلهم، وينطلق من مرتكزات اساسية هي: اولوية استعادة السيادة على جميع الاراضي اللبنانية، عودة النازحين، اعادة الاعمار، إطلاق المحتجزين، استعادة الرفات، واعتماد آلية لضمان تنفيذ جميع الالتزامات من دون المساس بالسيادة اللبنانية. وعلى الرغم من تسجيل تقدم في نقطتين في هذه المفاوضات الثلاثية، لجهة تمديد 45 يوما لوقف النار، وتحديد مواعيد جديدين لجولة تفاوضية، الا ان الايجابية الابرز تمثلت في الموقف اللبناني الموحد لجهة المطالبة بوقف اطلاق نار جدي وشامل، بما يفتح الباب واسعا امام تنفيذ الالتزامات للسير قدما في هذه المفاوضات، التي اعلنت الخارجية الاميركية عن ان اجواءها في جولتها الثالثة، كانت "ايجابية للغاية وتجاوزت التوقعات"، رغم انها لم تصل بعد الى "مرحلة الحسم".

من عزلها وقطع خطوط امدادها، مع تأكيده الاستمرار على مواصلة الوقوف الى جانب الاهالي الصامدين وفق امكاناته المتاحة من خلال ابقاء مجموعات عسكرية في تلك البلدات. فهذه الممارسات الاسرائيلية التي امعنت قتلا وتدميرا، اعادت الى الازهان ايضا صورة مجزرة قانا في العام 1996، وهي واحدة من أبشع المجازر في تاريخ الصراع العربي - الاسرائيلي، وشكلت دليلا صارخا على استهداف المدنيين خلافا لكل الاعراف. ففي 18 نيسان 1996 لجأ المئات ومعظمهم من النساء والاطفال الى مقر قيادة "فيجي" التابع لقوة الامم المتحدة في بلدة قانا جنوب لبنان، ظنا منهم انه ملاذ آمن يحميهم من القصف الاسرائيلي المتواصل ضمن عملية "عناقيد الغضب". غير ان هذا المكان لم يحمهم، اذ تعرض المقر لقصف مدفعي مكثف من القوات الاسرائيلية التي استخدمت خلاله قذائف ثقيلة بعضها فوسفوري، ادى الى مجزرة مروعة راح ضحيتها 106 مدنيين، واصابة أكثر من 150 آخرين بجروح متفاوتة ناجمة في معظمها عن الحروق والشظايا. هذه المجزرة معطوفة على يوم "الاربعة الدموي" واستهداف المسعفين والمدنيين والاعلاميين، ستبقى جروحا نازفة في ذاكرة الوطن، وشاهدا

طريق بني حيان طلوسة، مما استدعى تدخلا سريعا من قوات الطوارئ لاجلاء المصابين، كما سقطت، بعد شهر على بدء الحرب، قذيفة على مقر الوحدة الاندوسية في بلدة العديسة، ادت الى اصابة ثلاثة جنود بجروح بالغة، لتؤثر تلك الوقائع الى ان التصعيد لم يعد يقتصر على المدنيين والبنى التحتية، بل بات يطاول الجهات الدولية المكلفة بالمراقبة والتوثيق ورفع التقارير الدورية، وحملت هذه الاستهدافات رسائل للضغط على اليونيفيل وتقليل حضورها ودورها في الجنوب. شكل هذا التحول تجاوزا واضحا لقواعد الاشتباك التقليدية، بعدما اتسعت دائرة الاستهداف لتطاول الجيش اللبناني الذي اعتدت اسرائيل على حاجزه في بلدة العامرية على طريق صور، مما ادى الى استشهاد أحد العسكريين واصابة آخرين، في تطور يعكس انتقال التصعيد للضغط على الجهات الرسمية اللبنانية بعد الدولية. وحملت رسائل تهديد مزدوجة موجهة الى الجيش اللبناني لدفعه بعيدا عن المناطق التي تسعى اسرائيل الى احتلالها، وبالتالي الى اهالي الجنوب الذين يتمسكون ببقاء الجيش في قراهم، في محاولة للإيحاء بأنه عاجز عن توفير الحماية لهم، وهو الذي اضطر الى اعادة تموضع بعض وحداته وانتشارها، لمنع العدو

## الوحدات السكنية المدمرة والمتضررة من الحرب في لبنان

الوحدات السكنية المدمرة والمتضررة (كليًا وجزئيًا)

50,424

من 2 آذار حتى 16 نيسان 2026

